الرسالة

(١ كورنثوس ١: ١٨-٢٤)

يا إخوةُ إنَّ كلمةَ الصليبِ عند الهالكينَ جَهالةٌ وأمَّا عندنا نحن المخلَّصينَ فهي قوَّةُ اللهِ* لأنَّه قد كُتبَ سأُبيدُ حكمةَ الحكماءِ وأرفُضُ فهمَ الفُهماءِ* فأينَ الحكيمُ وأينَ الكاتبُ وأينَ مُباحِثُ هذا الدهرِ* أليسَ اللهُ قد جَهَّلَ حكمةَ هذا العالمِ* فإنَّهُ إذ كان العالمُ وهو في حكمةِ الله لم يعرفِ اللهَ بالحكمةِ ارتضى اللهُ أن يخلِّصَ بجهالةِ الكرازةِ الذين يؤمنون* لأنَّ اليهودَ يسألون آيةً واليونانيِّين يطلبونَ حكمةً* أمَّا نحن فنكرِزُ بالمسيحِ مصلوباً شكًّا لليهودِ وجَهالةً لليونانيين* أمَّا للمدعوّينَ من اليهودِ واليونانيِّين

قنداق إكرام الصليب للقدّيس رومانوس المرنم

كتب القدّيس رومانوس المرنّم ثلاثة قناديق تختصّ بالصليب الكريم: «مريم أمام الصليب»، «غلبة الصليب»، و«إكرام الصليب». مع التذكير أنّ القناديق هي من أنواع التراتيل الكنسيّة التي انتشر استعمالها ابتداءً من القرن الميلادي السادس، خصوصاً مع القدّيس رومانوس المرنّم الذي ألّف عددًا هائلاً منها إضافة إلى سواها من التسابيح التي تتناول شرح الأعياد الكنسيّة والأحداث الكتابيّة. يتألّف القنداق من مقدّمة وأبيات (بين ١٨ و٢٤ بيتًا) تنتهي جميعها باللازمة نفسها.

مع الوقت أخذ استعمال القنداق يتراجع أمام استعمال القانون، الذي يرتبط بالتسابيح التسع الكتابيّة، مع إبقاء المقدّمة والبيت الأوّل في خدمة السَحَر. نذكر على سبيل المثال قنداق الميلاد للقدّيس رومانوس المرنّم: «اليوم العذراء تلد الفائق الجوهر»، والذي ينتهي باللازمة «وهو إلهنا قبل الدهور».

لم يصلنا قنداقٌ للقدّيس رومانوس يختصّ بعيد رفع الصليب الموقّر، لكنّه في قنداق إكرام الصليب يذكر حدث رفع الصليب وكيف أنّ القدّيسة هيلانة والدة القدّيس قسطنطين الكبير سعت إلى إيجاد الصليب الموقّر، لذلك ارتأينا أن نلقي الضوء على هذا القنداق بسبب ذكره لحادثة رفع الصليب المكرّم ولما فيه من صور وتعليم عن دور الصليب في حياتنا المسيحيّة.

الشخصية الأساسية في قنداق إكرام الصليب هو اللص الذي صُلب عن يمين الربّ يسوع، والذي باعترافه على الصليب نال الدخول مع المسيح إلى الفردوس. وقد أعطاه الرب يسوع علامة الصليب كختم أزال به السيف الملتهب الذي كان يحرس مدخل الفردوس مع الشيروبيم، وحظي بأن يكون هو حامل مفتاح الفردوس ومن يستقبل المؤمنين على الباب لإدخالهم.

«إنّنا فيما نسجد للعود المكرّم، الذي هو صليبك، أيّها المسيح الإله، نتوسّل إليك أيّها الربّ الذي سُمّر عليه أن تخلّص جنس البشر من الأخطار، لأجل والدة الإله التي بوساطتها دُعي

العدد ٢٠١٤/٣٧

الأحد ١٤ أيلول

رفع الصليب الكريم المحيي

آدم مجدّدًا إلى الفردوس» (المقدّمة).

بعد هذه المقدّمة ينتقل القدّيس رومانوس إلى المقارنة بين شجرة الحياة التي غرسها الله في الفردوس وبين عود الصليب الذي غُرس في الجلجلة، ناقلاً خبرة اللصّ المعلّق عن يمين الرب يسوع المسيح المصلوب.

«إنّ العود المثلّث الطوبى، هبة حياتنا، قد غرسه العليّ في وسط الفردوس حتّى إذا اقترب منه آدم نال الحياة الأبديّة غير المائتة. إلاّ أنّه لم يسعَ البتّة إلى معرفة الحياة الكامنة فيه، فأضاعها ونال الموت عوضًا منها. أمّا اللّصّ، فبالعكس، عندما رأى الغرسة التي في الفردوس مغروسة في الجلجلة حسنًا، عرف ما تحويه من الحياة، وقال في نفسه: هذا ما أضاعه أبي في الفردوس» (البيت الأوّل).

عندما اعترف اللص وهو على الصليب، انفتحت عينا قلبه، ورأى جمال الفردوس، وفي وسطه غرسة الحياة. غير أنّه لاحظ أنّ للصليب المعلّق عليه وللغرسة في الفردوس شعاع الحياة نفسه، فأخذ يبكي على آدم بسبب ما أضاعه. إلاّ أنّ المسيح عزّاه، إذ إنه آدم الثاني الذي أتى بملء إرادته ليخلّص آدم الذي لم يطع وصايا الله فنال اللعنة. لقد نزل المسيح من العلى ليفتدي جنسنا، بما أنّه رؤوف ومحبّ للبشر. ثمّ طلب من اللص أن يحمل صليبه، أي صليب المسيح، لكي يعود الى الفردوس: «عندما طُرد أوّل الخلائق من الفردوس، أُمر الشيروبيم بحفظ الطريق إليه. لكن خذ صليبي على عاتقك وأسرع إلى عدن. وإذا لم يرَ السيف الملتهب العنوان على الصليب (يسوع الناصري ملك اليهود) فإنّ ناره ستحرقك. فخذ إذًا هذه الكتابة المعلّقة على صليبي معك، أيّها اللصّ، وسر نحو الشيروبيم، فإنّهم سيعرفون علامة الحياة، وسيعطونك القدرة على فتح الفردوس وإدخال أصدقائي معك إليه» (البيت الخامس).

سمع اللص أمر المسيح، فحمل صليب الربّ وأخذ يسبّح تسبحة جديدة، مخاطبًا الصليب وواصفًا إيّاه بأنّه عصا الراعي التي تقود الخطأة الذين يقبلونه إلى الحياة، والمذراة التي تذرّي في الهواء القشّ الذي يوضع في النار أمّا الثمار فتُحفظ في الأهراء. هو مجذاف الكنيسة الطاهرة والسفينة التي تقود نفوس الصدّيقين إلى الفردوس. إنّه المذبح الكلّي قدسه الذي يُهراق عليه دم الذبيحة، الدم الطاهر.

تقدّم اللصّ بثقة نحو الشيروبيم، غير خائف من السيف الملتهب، لأنّه يحمل ختم الصليب على عاتقه. لقد تلقّى علامة الصليب ضمانة للحياة، لأنّ من يحفظ ختم الصليب يدخل الفردوس. هكذا صار اللصّ بعود الصليب حاملاً مفاتيح الفردوس.

بعد ذلك يشير القدّيس رومانوس إلى دور القدّيسة هيلانة في إيجاد الصليب المكرّم: «عظيمة هي أعمال المسيح ويعجز عنها الوصف، لكنّها لم تُكشف لغير المؤمنين وغير المستحقّين، بل للصدّيقين والمستحقّين. هذا ما حصل مع هيلانة والدته (قسطنطين الملك المذكور في البيت السابق) التي رغبت في إيجاد عود حياتنا الذي كان مخبّأً بمرور الزمن، لانّها مُحِبَّةٌ لله ومستحقّة، فأسرعت بنشاط إلى حيث صُلب الربّ، تاركةً الصروح الملكيّة، ونفضت عنها الكسل ومشقّة الطريق، لأنّها كانت متشوّقة لإيجاد السراج الذي يقود إلى الفردوس» (البيت ١٩).

فالمسيحُ قوَّةُ اللهِ وحكمةُ الله.

الإنجيل

(يوحنا ١٩: ٦-٣٥)

في ذلك الزمان عقد رؤساءُ الكهنةِ والشيوخُ على يسوعَ مشورةً ليُهلِكوهُ* فأتوا إلى بيلاطسَ قائلين اصلبهُ* فقال لهم بيلاطس خذوهُ أنتم واصلبوهُ. فإنّي لا أجدُ فيهِ علَّةً* أجابهُ اليهودُ إنَّ لنا ناموساً. وبحسب ناموسنا يجب أن يموتَ لأنَّهُ جعلَ نفسَهُ ابنَ اللهِ* فلمَّا سمِعَ بيلاطسُ هذا الكلام ازدادَ خوفاً* ودخلَ أيضاً إلى دارِ الولايةِ وقالَ ليسوعَ مِنْ أينَ أنت. فلم يردَّ يسوعُ عليهِ جواباً* فقال لهُ بيلاطسُ ألَا تكلّمُني. أمَا تعلمُ أنَّ لي سلطاناً أن أصلِبَك ولي سلطاناً أن أُطلِقَك* فأجاب يسوعُ ما كان لك عليَّ من سلطانٍ لو لم يُعطَ لك من فوق. فلمَّا سمعَ بيلاطسُ هذا الكلامَ أخرجَ يسوعَ. ثم جلس على

كرسي القضاءِ في موضعٍ يُقال لهُ ليثُسْتروتُنْ وبالعبرانية جَبَّتا. وكانت تهيئَةُ الفصحِ وكان نحو الساعةِ التاسعة. فقال لليهود هوذا مَلِكُكم* أمَّا هم فصرخوا ارفَعْهُ ارفَعْهُ اصلِبْهُ. فقال لهم بيلاطس أأَصلِبُ مَلِكَكم. فأجاب رؤساءُ الكهنة ليس لنا ملكٌ غيرُ قيصر* حينئذٍ أسلمهُ إليهم للصلب. فأخذوا يسوعَ ومضوا بهِ* فخرج وهو حاملٌ صليبَهُ إلى الموضع المسمَّى الجمجمة وبالعبرانيَّة يُسمَّى الجلجلة، حيث صلبوهُ وآخرَين معهُ من هنا ومن هنا ويسوعُ في الوسط* وكتب بيلاطس عنواناً ووضعهُ على الصليب وكان المكتوب فيهِ: «يسوعُ الناصريُّ ملكُ اليهود»* وهذا العنوان قرأَهُ كثيرون مِنَ اليهود لأنَّ الموضِعَ الذي صُلب فيهِ كان قريباً من المدينة. وكان مكتوباً بالعبرانيَّة واليونانيَّة والرومانيَّة* وكانت واقفةً

لقد قبل الربّ إيمانها وأرشد وزيرها المسمّى كرياكوس إلى الصليب فوجده، واستخدم ميتًا ليعرف أيّ صليب هو صليب الربّ، فإنه وجد ثلاثة صلبان، صليب الرب وصليبي اللصين، ولمعرفة أيهما صليب الرب صار يضع جثة الميت على كل صليب على حدة، ولما وضعها على صليب الرب قام الميت. «فكما انسحب الموت قديمًا بوجود المسيح في القبر» هكذا هرب الموت أمام «الحياة المؤدّية إلى الفردوس».

يدعو القديس رومانوس الجميع أخيرًا إلى الابتهاج في ظلّ الصليب الضامن الحياة: «فلنتهلّل مبتهجين في ظلّ صليب الربّ، ويا أيّها الخطأة فلنتعقّل: لقد فُتح الفردوس، واللصّ الذي اختاره المسيح على الصليب أصبح حارسه. لا نقفل إذًا ما هو مفتوح. فقد عُهدت إلى اللصّ المحبّ المسيح مهمّة استقبالنا بمحبّة. ولنوقّر الصليب حارس حياتنا لأنّه يضمن لنا الحياة السماويّة، وهو يحفظ البشر من الشرّير وهجماته. والذين خُتموا بختمه يؤمنون بأنّهم سيدخلون الفردوس» (البيت ٢٣)

«لقد أصبحتَ ابن مريم، يا ابن الله مخلّصنا، وسُمّرت على الصليب يا إلهنا المتجسّد، لكي تخلّصنا من الأحزان وترحم الخطأة، بما أنّك قدير وصالح. إمنحْ كلّ الذين يرجونك توبةً، فيخدمونك بالمزامير والتسابيح. ونهتف إليك مع اللصّ، كأنّنا على الصليب: اذكرنا في ملكوتك، وأهّلنا أن نكون من محفل قدّيسيك أيّها المسيح، فنتّحد معك في الفردوس بما أنّنا نلنا ختم صليبك» (البيت ٢٤).

صلاة الغروب

+ الأبوستيخن:

حسب الدراسات التاريخية، يبدو أن خدمة صلاة الغروب كانت تنتهي قديماً مع صلاة إحناء الرؤوس التي ذكرناها سابقاً، والتي هي إفشين بركة وإفشين نهاية الخدمة. أما ما تبقى من الخدمة، أي الأبوستيخن والطروباريات، فقد أضيف إلى الخدمة في وقت لاحق. وقد سميت أبوستيخن، وباليونانية تعني: «ما بعد الآية»، لأن كل ترنيمة تسبقها آية من المزامير. وهدفها أن تُذكّر المؤمنين بالخلاص الذي قام به الرب (من خلال ترانيم مساء السبت)، هذا الخلاص الذي حصل عليه القديسون (من خلال القطع المتعلقة بالقديسين الذين نعيّد لهم). قطع الأبوستيخن هي مجموعة تراتيل تتحدث عن فحوى اليوم الطقسي بحسب موضوعه اليومي، أو عن القديس أو العيد الذي نعيّد له في هذا اليوم.

+ «الآن تطلق عبدك»:

تنتهي صلاة الغروب بتسبحة سمعان الشيخ «الآن تطلق عبدك أيها السيد حسب قولك بسلام، لأن عينيَّ قد أبصرتا خلاصك الذي أعددته أمام كل الشعوب، نور إعلان للأمم ومجداً لشعبك إسرائيل» (لوقا ٢: ٢٩–٣٢). هو النشيد الذي قاله سمعان الشيخ بعدما حمل الطفل يسوع بين يديه عندما أتى به أبواه إلى الهيكل في تمام الأربعين يوماً. وكان سمعان الشيخ، بحسب التقليد الكتابي، قد تقدّم في السن وكان قد أوحي إليه في الحلم أنه لن يموت قبل أن يرى المخلّص الآتي لخلاص البشر. هكذا لما حمل الطفل يسوع

وعاين المخلّص متجسداً قال هذا النشيد معلناً استعداده للإنطلاق إلى أحضان الآب.

يول القديس سمعان التسالونيكي: «في هذه الصلاة يطلب سمعان الشيخ إطلاق نفسه من جسده لأنه رأى خلاص الله. نحن نطلب إطلاق (أو حرية) النفس من الأهواء، من تجارب العدو، ومن مرض الجسد والنفس. ليس مفاجئاً أن نطلب أن نُمنح إطلاق الجسد ونطلب السلام والخلاص، عندما تكون هذه إرادة الرب المقدسة. هذه الصلاة تشكّل كمال أو تمام هدف تسابيحنا: أن يمنحنا الرب نور النعمة والخلاص والمجد» .

بعد أن امتلأنا أملاً بإبن الله الوحيد الذي تجسد من العذراء مريم ومنح كل المؤمنين به النعمة لكي يدعوا الله أباهم، نستطيع الركون إلى الراحة من دون خوف.

بعد أن عاينّا الخلاص الحاصل بتجسد المسيح وقيامته من بين الأموات، وأعلنّا إيماننا بقيامة المخلّص، وبعد أن رأينا نور المساء وطلبنا حماية الله في الليل المقبل إضافةً إلى غفران خطايا النهار وشكرناه على نِعَم اليوم كلّه، نحن الآن على استعداد إلى الإنطلاق إلى الليل مستعدين لاستقبال المسيح مثل العذارى العاقلات، ومستعدين لمحاربة أهواء الليل الشيطانية. كل هذا لأننا نحيا في نور المسيح، ومن يسير في نور المسيح لا يعثر أبداً. في الليل هناك النوم، والنوم هو أخ الموت الصغير. لذا نضع أنفسنا بين يدي المسيح في الليل.

لقد عاينّا خلاص الله من خلال الترانيم التي رُتّلت على «يا رب إليك صرخت» ولمسنا البرهان على الخلاص عندما ألحقنا هذه التراتيل بأُخرى عن القديسين الذين نعيّد لهم اليوم، لذا فنحن نضع أنفسنا بين يدي الرب مسلّمين إياه ذواتنا حاملين في قلوبنا الإيمان القويم بالرب القائم وأعمال الفضائل التي قمنا بها في حياتنا.

+ قدوس الله والطروباريات:

بعد «الآن تطلق عبدك» نقول «قدوس الله، قدوس القوي، ...» وما يليها (أيها الثالوث القدوس ... أبانا الذي في السموات...)، والطروباريات التي تعلن لنا القيامة أو قداسة الذين جاهدوا من أجل المسيح ونالوا الإكليل السماوي واستحقوا الملكوت وحُسبوا مع العذارى العاقلات.

+ الختم وبصلوات أبائنا القديسين:

في نهاية الخدمة يمنح الكاهن المؤمنين البركة قائلاً: «بركة الرب ورحمته تحلّان عليكم بنعمته ومحبته للبشر...»، ثم يطلب لهم شفاعة والدة الإله وكل طغمات القديسين والقديس الذي نعيِّد له في هذا اليوم لكي يرحمهم الرب ويخلّصهم.

وينهي الصلاة بعبارة «بصلوات آبائنا القديسين أيها الرب يسوع المسيح إلهنا ارحمنا وخلّصنا آمين»، أي يطلب إلى الرب أن يخلّصنا بشفاعة والدة الإله والآباء القديسين. كذلك يطلب صلوات آباء الكنيسة الحاليين، أساقفة وكهنة، الذين أقامهم الله ليرعوا أبناء كنيسته ويقودوهم في مسيرتهم نحو الملكوت.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

عند صليبِ يسوعَ أُمُّهُ
وأختُ أمّهِ مريُم التي
لِكلاوبا ومريم المجدلية*
فلمَّا رأى يسوع أُمَّهُ
والتلميذَ الذي كان هو
يحبُّهُ واقفاً قال لأمّهِ يا
امرأةُ هوذا ابنكِ* ثمَّ قال
للتلميذ هوذا أُمُّك، ومن
تلك الساعة أخذها التلميذُ
إلى خاصَّتهِ* وبعد هذا
رأى يسوعُ أنَّ كلَّ شيءٍ قد
تمَّ فأمال رأسَهُ وأسلمَ
الروحَ* ثمَّ إذ كان يومُ
التهيئَةِ فلئلَّا تبقى
الأجسادُ على الصليب في
السبت، لأنَّ يومَ ذلك
السبت كان عظيماً، سأل
اليهودُ بيلاطسَ أن تُكسَرَ
سُوقُهم ويُذهَبَ بهم* فجاءَ
الجندُ وكسروا ساقَيِ الأولِ
والآخرِ الذي صُلبَ معهُ*
وأمَّا يسوعُ فلمَّا انتهوا
إليهِ ورأوهُ قد مات لم
يكسِروا ساقَيْهِ* لكنَّ واحداً
من الجند طعن جنبَهُ
بحربةٍ فخرجَ للوقتِ دمٌ
وماءٌ* والذي عاين شَهِدَ
وشهادَتُهُ حقٌّ.